باب الأخبار والآراء

الحرب البلقانية الصليبية

لقد بدا للناس من هذه الحرب مالم يكونوا يحتسبون ، فقد كانت أقوال صحف اوروبة تدل على ان الاوربيين كالعثمانيين يظنون ان كفة الدولة العثمانية تكون هي الراجحة ، وكفة البلقانيين تكون هي المرجوحة ، ولذلك صرحت الدول الكبرى بأنها متفقة على أن هذه الحرب لاتغير شيئاً من الحال الحاضرة ولا من خارطة البلقان . فلما ظهر رجحان كفة البلقانيين رجعت عن قولها ، وصرحت بأنه ليس من العدل حرمان الدول المتحالفة من ثمرة انتصارها (والعدل عند هؤلاء الناس لايجوز أن يتعدى أبناء جنسهم وأهل ملتهم ودينهم) بل تجاوزت ذلك الى محاولة اكراه الدولة العثمانية وقسرها على أن تعطي الصليبيين ماافتتحوا من بلادها وما أعياهم فتحه كأدرنة ، وقد أجمعت ذلك دول التثليث كافة سواء منهن من أبدى تاجزي الشر للدولة وأظهر ضلعه وتعصبه للصليبيين كدول الاتفاق الثلاثي ، ومن جامل العثمانيين بالقول بعض المجاملة كدول التحالف الثلاثي

ثم ان ماظهر من ضعف الدولة العثمانية وخللها هو ما لم يكن يحتسبه كله أحد ولا الاوربيون الذين يعبرون عنها بالرجل المريض ويرون انها بهذا المرض تكاد أن تكون حرضاً أو تكون من الهالكين . وهكذا شأن الناس في تقدير أحوال من ضعف بعد قوة عظيمة ، أو افتقر بعد ثروة كبيرة ، فانهم يتصورون شيئاً من ماضيه مع تصور حاضره ، ويستخرجون النتيجة من مقدمات من التاريخ الماضي ذالتسع زمنها ومن مقدمات التاريخ الحاضر . وكذلك يخطئون في تاريخ حال من دخل في حياة جديدة ، استصحاباً لشيء من ماضيه يمزجونه بما عرفوا من حاضره ، حتى تأتي الحوادث والوقائع الكبيرة بما لم يكن في الحسبان ، كما رأينا في حرب الروسية واليابان ، ولكن العبرة في رجحان البلغار على الترك أكبر ، والتفاوت بين الفريقين فيها أعظم

ومما ظهر وبان ، هاجما من وراء حدود الحسبان ، شيء آخر كان كثير من

من المغرورين بمدنية هذا الزمان ، يظنون انه من وراء حدود الامكان ، وهو طغيان صليبي البلقان الظافرين ، على أبناء وطنهم المسلمين المسالمين ، واسرافهم في تقتيلهم وتعذيبهم ، وهتك أعراضهم وسلب أموالهم ، وانهم ليقتلون النساء والاطفال ليقل عدد المسلمين في البلاد ، حتى ألجؤا بعضهم الى الخروج من الاسلام ، وانتحال النصرانية حفظاً لانفسهم ، وصيانة لأعراضهم وأموالهم . وقد شهد فظائعهم هذه كثير من مكاتبي الصحف الاوروبية من الشعوب المختلفة وبعض وكلاء الدول السياسيين (القناصل) وذكرت الجرائد الاوربية والتركية كثيرا من حوادثه تقشعر منها الجلود ، وتفتت لهولها الكبود

ولم يكن عجب الناس من اقتراف البلقانيين لهذه الجرائم والجنايات ، والفواحش والمنكرات ، وجهرهم ذلك باسم الصليب في سبيل المسيحية ، كعجبهم من الدول والشعوب الافرنجية في أوربة وامريكة لسكوتهم عنها ، بل اقرارهم اياهم عليها ، فهل هذه هي المسيحية التي يبذلون الملايين في سبيل دعوتنا اليها ، وهل هذه هي الانسانية التي يفتخرون بدعواها ؟ ؟

اختلفت دعاة النصرانية في مؤتمرهم الذي عقدوه للنظر في وسائل تنصير المسلمين : هل إله المسلمين هو إله النصارى أم لا ؟ فقال قس من أكبر قسوسهم ان إله المسيحيين غير إله المسلمين ، لانه دين محبة ورحمة ، وإله المسلمين ليس كذلك !!!

فأين هذا القس المحب الرحيم الآن ؟ لا أراه الا فرحا مسرورا مع قومه بفظائع الصليبيين في البلقان ، فانه هو وأمثاله قد اتخذوا المسيحية آلة للشهوات واللذات وسعة الملك واستعباد الأمم والشعوب ، وهم أبعد خلق الله عن دين المسيح عليه الصلاة والسلام وعن دين بولس الذي تمثله الكتب والرسائل التي يسمونها العهد الجديد أيضا

واذا كان هذا شأن رجال الدين فيهم فكيف يكون شأن رجال السياسة المنافقين الذين ينفثون في أرواحهم سموم العصبية الدينية ويغرونهم بافساد عقائد الناس ، ويعينونهم على ذلك بالنفوذ والمال ، واذا لقوا أحدا من أهل الملل الذين يغرونهم ادعوا انهم يمقتون العصبية الدينية وأهلها ، وانهم لايدينون بدين الا دين الانسانية العامة ، وهم بهذا الوجه الذي يلقون به المسلمين وغيرهم من أهل الملل الشرقية المخالفة أشد إفسادا في الدين والاجتماع من دعاة دينهم ، فان الذين أفسد عليهم الافرنج دينهم باسم الانسانية ، أضعاف اضعاف الذين أفسدوا عليهم دينهم ودنياهم باسم المسيحية

صدق هؤلاء المنافقين تلاميذهم ومريدوهم من المسلمين وغيرهم وظنوا فيهم الخير ، وتوهموا انهم بترك الدين وحل رابطته والدعوة الى رابطة أخرى يسلكون طريقهم في الترقي المادي ، وإنما يهوون في مهواة التدلي والانقراض

الا انه قد وجد فينا الحكماء العارفون وطالما حذروا وأنذروا ، فعلت أصوات الخادعين أصواتهم فلم تعتبر بها الامة . وانما نذكرها الآن بقبذة من مقالة التعصب احدى مقالات العروة الوثقى التي نشرناها في المنار من قبل ونقلتها بعض الصحف ، وهي منشورة أيضا في بعض الكتب .

بين الاستاذ الامام رحمه الله في أول تلك المقالة معنى التعصب في اللغة والاصطلاح ومفاسد الغلو فيه ومدح الاعتدال ، وما ثبت في التاريخ من غلو الاوربيين في تعصبهم ، وابادتهم للمخالفين لهم ، وتسامح المسلمين وتساهلهم ، ثم بين غرضهم من تنفير المسلمين خاصة من التعصب الديني مطلقا وان كان معتدلا لايترتب عليه شيء من إيذاء المخالفين ، وهو أن يحلوا رابطتهم ، ويتمكنوا من إزالة سلطانهم ، وبين كون الموافقين لهم المخدوعين بسحرهم ، يخربون بيوت أنفسهم بأيديهم وأيدي أعدائهم ، ثم قال:

«هذا أسلوب من السياسة الاوربية اجادت الدول اختباره ، وجنت ثماره ، فأخذت به الشرقيين لتنال مطامعها فيهم ، فكثير من تلك الدول نصبت الحبائل في البلاد العثمانية والمصرية ، وغيرها من الممالك الاسلامية ، ولم تعدم صيدا من الامراء والمنتسبين الى العلم والمدنية الجديدة ، واستعملتهم آلة في بلوغ مقاصدها من بلادهم ، وليس عجبنا من الدهريين والزنادقة ممن يتسترون بلباس الاسلام ان يميلوا مع هذه الأهواء الباطلة ، ولكنا نعجب من أن بعضا من سذج المسلمين مع بقائهم على عقائدهم ، وثباتهم في ايمانهم ، يسفكون الكلام في ذم التعصب الديني ويلهجون في رمي المتعصبين بالخشونة والبعد عن معدات المدنية الحاضرة ، ولا يعلم أولئك المسلمون أنهم بهذا يشقون عصاهم ويفسدون شأنهم ، ويخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المارقين . يطلبون محو التعصب المعتدل وفي محوه محو الملة ودفعها الى أيدي الاجانب يستعبدونها مادامت الارض أرضا والسماء سماء . والله ماعجبنا من هؤلاء وهؤلاء بأشد من العجب لأحوال الغربيين من الامم الافرنجية الذين يفرغون وسعهم لنشر هذه الافكار بين الشرقيين ولا يخجلون من تشنيع التعصب الديني ورمي المتعصبين بالخشونة . الافرنج أشد الناس في هذا النوع من التعصب واحرصهم على القيام بدواعيه ، ومن القواعد الاساسية في

حكوماتهم السياسية الدفاع عن دعاة الدين والقائمين بنشره ومساعدتهم على نجاح أعمالهم، واذا عدت عادية مما لا يخلو عنه الاجتماع البشري على واحد ممن على دينهم ومذهبهم في ناحية من نواحي الشرق، سمعت صياحا وعويلا وهيعات ونبآت تتلاقى أمواجها في جو بلاد المدنية الغربية وينادي جميعهم: الا قد ألمت ملمة، وحدثت حادثة مهمة، فأجمعوا الامر وخذوا الأهبة لتدارك الواقعة والاحتياط من وقوع مثلها حتى لا تخدش الجامعة الدينية: وتراهم على اختلافهم في الاجناس، وتباغضهم وتحاقدهم وتنابذهم في السياسات، وترقب كل دولة منهم لغرة الاخرى حتى توقع بها السوء، يتقاربون ويتألفون ويتحدون في توجيه قواهم الحربية والسياسية لحماية من يشاكلهم في الدين وان كان في أقصى قاصية من الارض، ولو تقطعت بينه وبينهم الانساب الجنسية. أما لو فاض طوفان الفتن وطم وجه الارض وغمر وجه البسيطة من دماء المخالفين لهم في الدين والمذهب فلا ينبض فيهم عرق ولا يتنبه لهم احساس بل يتغافلون عنه ويذرونه وما يجرف حتى يأخذ مده الغاية من حده ويذهلون عما أودع في الفطر البشرية من الشفقة الانسانية والرحمة الطبيعية كأنما يعدون الخارجين عن دينهم من الحيوانات السائمة والهمل الراعية، وليسوا من نوع الانسان الذي يزعم الاوربيون أنهم حماته وأنصاره. وليس هذا خاصا بالمتدينين منهم بل الدهريون ومن لا يعتقدون بالله وكتبه ورسله يسابقون المتدينين في تعصبهم الديني ولا يألون جهدا في تقوية عصبيتهم، وليتهم يقفون عند الحق ولكن كثيرا ما يتجاوزونه. أما أن شأن الافرنج في عسكهم بالعصبية الدينية لغريب.

يبلغ الرجل منهم أعلى درجة في الحرية كغلادستون واضرابه ثم لا تجد كلمة تصدر عنه الا وفيها نفثة من روح بطرس الراهب، بل لا ترى روحه الا نسخة من روحه (انظر الى كتب غلادستون وخطبه السابقة) اهـ

*

ومما بدا للمسلمين من هذه الحرب ولم يكونوا يحتسبونه، أن الدولة العثمانية ليست بالدولة القوية التي يرجى ان تحفظ نفسها من أوربة بقوتها الحربية، سواء منها البرية والبحرية، وانما بقاؤها، بدوام تنازع الدول في اقتسامها، وان هذا الاقتسام متفق عليه في الجملة، مختلف عليه في التفصيل، وان ممالكها في نظرهن كالارض الموات من سبق الى شيء منه ملكه، وأن ما يديه بعضهن لها من الميل والانعطاف

أحيانا — وهو لا يتعدى القول اللطيف والمساعدة السلبية — فانما سببه حجر المغنم العاجل كالامتيازات والقروض وبيع الاسلحة والذخائر ، على انهن صرن يقبضن أيديهن عن إقراضها ولو بالربا الفاحش ويتشددون في ذلك ، وأما ما كان من مساعدة بعضهن لها في الزمن الماضي فسببه تعارضهن في النفوذ والطمع في بلادها أيضا وقد ارتقوا عن هذه الدرجة الآن

عرف خواص المسلمين هذه الحقائق في الاقطار الكثيرة ، وشعر به عوامهم في مصر وولايات السلطنة أيضا ، فأصابهم من الغم والكآبة ماوجلت له القلوب ، وذرفت لأجله العيون ، وطفق الناس يتساءلون ، عن النبإ العظيم الذي فيه يختلفون ، وهو كيف يكون حال الاسلام والمسلمين ، اذا صارت هذه الدولة في عداد الغابرين؟

ان أصحاب هذه الدولة يجدون ويجتهدون في هدمها منذ قرنين أو أكثر وكانت بعض الدول الاوربية تدعهم الى الاسراع في الهدم ، وبعضها تدعوهم الى التريث فيه ، وقد اشتد الهدم على عهد عبد الحميد ولكن من وراء الحجب والاستار ، وفي حنادس الظلمات ، وأما بعد سقوطه فقد صار الهدم أشد ، ولكن الهادمين يسمون أنفسهم البنائين الاحرار ، وصار أبين وأظهر لانه يؤتى في ضوء النهار .

لقد كان جهل المسلمين بحقيقة حال هذه الدولة ، أكبر مصائبهم ومصائب الدولة ، ولو كانوا يعرفون كنه حالها ، منذ تنبهوا لانفسهم ولها — أي من عهد انكسارها في حرب الروسية الاخيرة — لاجتهدوا في اصلاح أنفسهم وإصلاحها ، ولكنهم اغتروا وخدعوا بها ، وأمدتهم جرائد المنافقين في غرورهم ، فحسبوا انها دولة قوية عزيزة تقيم شرعهم ، وتعلي كلمة دينهم ، وتدافع عنه وعنهم ، وكم نبهناهم وأنذرناهم فثاروا النذر ، ولا يزال كثير منهم على غرورهم ، كما يدلنا على ذلك تجاوب اقتراحهم عليها إدامة الحرب ، وكراهتهم لما جنحت اليه الوزارة الكاملية من السلم، وعقد الهدنة للبحث في شروط الصلح ،

ان كل ما عرفناه من مساعدة العالم الاسلامي للدولة في حربها هذه هو أنهم أمدوها باعانة لا تجاوز نصف مليون من الجنيهات الا قليلا ، الا ان يكون هنالك إعانات خفية عنا وعن غيرنا . وليس هذا بالذي ينهض بمثل هذه الدولة الكبيرة ، ولا اظهار الغيرة عليها ، بالذي يدفع عدوان الدول عنها ، بل يخشى ان يكون مغريا لدول الاستعمار بالتعجيل عليها ، فانا لا أزال أعيد ما بدأت من القول بأن الدولة على خطر ، وحل المسألة الشرقية أقرب غائب ينتظر ، وادعو عقلاء المسلمين خاصة الى التفكير في

المآل ، وإعداد ما يستطيعون له من العدة والمال ، وما بعد بذل الجهد الا العزم والاتكال ، وانني أشير الى شيء من ذلك بالاجمال :

مستقبل الاسلام والمسلمين

أهم مايهم كل مسلم في الارض أن يكون للاسلام سلطة تقام بها شريعته ، وتحيا بها دعوته ، وقد كان المسلمون لفشوّ الجهل فيهم ، مغرورين بحكوماتهم ودولهم ، ولم يكن غرور النابهين للدول ذات التاريخ الكبير كالدولة العثمانية ، بأشد من غرور النابهين للدول ذات التاريخ الصغير كسائر الدول الافريقية أو الاسيوية ، ولكن الغرور بالدولة العثمانية تجاوز بلادها الى الملايين من المسلمين الذين استولت عليهم الدول الاوربية في الشرق والغرب . وان هذا الغرور قد أوصل السلطة الاسلامية الى درجة الخطر ، خطر الفناء والزوال . فوجب على كل عارف مخلص أن يصرح للمسلمين بما يعرف ، وقد كنا في السنين الغابرة نكني ولكن الوقت ضاق عن الكنى

ولو عرف جماهير المسلمين كنه حال دولهم وحكوماتهم من قبل لجدّ العقلاء في السعي لاصلاحهم وحفظها ولكان الفوز أرجى لهم من الخيبة ، ويجب أن يعرفوا الآن ماجهلوا من قبل وان كان الرجاء في السعي الآن أضعف ، ولكن المسلم لايأس ولا يقنط ، ولقد كان اكبر بلاء الدولة العثمانية من بعض رجالها الذين يئسوا منها ، في الزمن الذي دبّ فيه الى مسلمي الآفاق الرجاء فيها ، وما زلزل غرور المسلمين ، وأزال بقايا غرور غير الحكام من العثمانيين ، الا هذه الحرب البلقانية فاذا كانت ثمرتها أن نعرف حدنا ، ونهتدي الى رشدنا ، فنعرف كيف ندرء خطر الزوال عنا ، فان هذه الحرب تكون كما قلت من قبل اكبر نعمة علينا

ألا فليعلم من لم يكن يعلم أن وجود الدولة العثمانية في أوروبة هو سبب غرورها وفقرها ومولد الفتن فيها ، وهو الذي جعل رجال الدولة يحتقرون بلادها في آسية وأفريقية وجميع الشعوب التي في هذه البلاد ، فكل قوة الدولة تصد في ولاياتها الاوربية ولولاياتها الاوربية ، ومعظم أموال الدولة تصرف فيها ، وعاقبتها للاوروبيين دون العثمانيين ، لان أوروبة كلها مجمعة على ذلك ولكن تنفذه بالتدريج . فلا ينبغي أن نأسى على مايزول من أملاك الدولة في أوربة ولا نفرح بما يبقى منها ، وانما ينبغي أن نوجه كل عنايتنا الى أملاكنا في آسية ، وأن نقيم بناء الادارة والاصلاح فيها على الطريقة التي يسمونها اللامركزية

فتجب العناية قبل كل شيء بجعل كل من يقدر على حمل السلاح في كل قطر من الاقطار جنوداً مستعدين للدفاع عنه اذا هاجمه العدو ، وأن يكونوا في هذا متكافلين متعاونين بنظام يوضع لذلك ، وأن يكون أول ما يبدأ به من ذلك الحجاز والبلاد المجاورة له ، وأن يكون كل ما يجمع من المال لاعانة الدولة خاصاً بتحصين الحرمين الشريفين وما حولهما ، واعداد تلك البقاع كلها للدفاع عنهما ، وبجعلهما مثابة للعلوم والفنون باقامة المدارس العامة في المدينة المنورة والطائف . وأن يتولى هذا العمل جمعية علمية اسلامية يختار أعضاؤها من خيار مسلمي الآفاق كلها . فاذا لم يبادر عقلاء المسلمين من العرب والترك والهنود والفرس وغيرهم الى جمع المال لهذين العملين والسعي لتنفيذهما فوالله ثم والله ليندمن وليعلمن أن اهتمامهم بأدرنة والقسطنطينية لا يغني عنهم من ذلك شيئاً . وليسقطن تحت نير أوربة كل ما بقي لهم ، حتى كعبتهم وروضة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، فليتدبروا ويتذكروا ، (وما يتذكر الا من ينيب) وسنعود الى هذا البحث ان شاء الله تعالى

﴿ رحلتنا الهندية — شكر علي ﴾

كنت أرى من حقوق اخواني مسلمي الهند وعمان والعراق الذين أكرموا مثواي في رحلتي ، واحسنوا ضيافتي وبالغوا في مودتي ، ان أكتب الى كل واحد منهم كتاب شكر خاص به ، وكنت أتربص فرصة فراغ أوفيهم فيها حقهم هذا . ولكن قد طال العهد والزمان لم يجد عليّ بهذه الفرصة . وذلك أن زمن الرحلة قد امتد في العودة فلم ابلغ القاهرة الا في النصف الثاني من شهر شوال ، فالأعمال التي كانت متأخرة من مدة ستة أشهر ، وما يجب من الاهتمام والعمل لفتح مدرسة الدعوة والارشاد ـ وكان قد جاء موعد فتح المدارس ـ وما يجب من جمع الهيئة العامة لجماعة الدعوة والارشاد في النصف الاول من ذي القعدة ، وما عراني من انحراف المزاج ـ ثم ما شغل البال والوقت من هذه الحرب المشؤمة ـ كل ذلك كان حائلا دون سنوح الفرصة المنتظرة

لهذا رأيت انه يجب عليّ في عرف الوفاء والادب ان أستعيض عن الشكر التفصيلي الخاص ، بشكر إجمالي عام ، لأولئك الاصدقاء الكرام ، والعلماء الاعلام ، والامراء الفخام ، وانني أرجو وقد وفقت للكتابة الى قليل منهم ، ان أوفق الى مكاتبة سائرهم أو أكثرهم ، وانني أخص بالذكر من أتذكر الآن اسماءهم

أولهم وأولاهم بالشكر من جالية العرب في بمبي ومن أهلها صديقي الحميم ، المحسن العظيم ، الكريم ابن الكريم ابن الكريم ، الشيخ قاسم بن محمد آل ابراهيم ،

فهو الذي قام بحسن ضيافتي ، في غدوتي ورواحتي ، وأعد لي سيارة كهربائية خاصة مدة اقامتي في بمبي . ثم ابنا أخيه الشيخ عبد الرحمن ابراهيم ، والشيخ يعقوب إبراهيم ، والشيخ محمد المشاري رئيس شركة البواخر العربية وعبد الله فوزان ، وسائر الجالية العربية في بومباي الذين استقبلوني على رصيفها هم وبعض كرام أهلها كالحاج سليمان عبد الواحد شريف البلد والحاج اسماعيل صوباني رئيس (انجمن اسلام) الذي حياني على رصيف البحر بخطبة بليغة ، وميان محمد حاجي جان محمد شوتماني كبير طائفة الميمن وأشهر تجارهم نجدة ومروءة ، والحاج عبدالله ميان الكهندواني من كبراء طائفة الميمن أيضا ، وهؤلاء قد أدبوا لنا مأدبة حافلة اجتمع لها مئات من الكبراء والفضلاء ثم أشكر فضل باي من أكابر سروات البلد جماعة آغاخان ، وكنت أتمنى لو كان زعيمهم محمد سلطان (امام الاسماعيلية) يومئذ في بمبي فاني كنت حريصا على لقائه ، وقد سررت من اهتمام فضل باي بأمر الجامعة الاسلامية لانها كانت جل حديثنا في تزاورنا

وممن أخصهم بالشكر والثناء السيد علي الحسن معاون البوليس في (آكره) الذي أحسن ضيافتي واطلاعي على الآثار العظيمة التي فيها ، ومحمد شعيب مفتش مصلحة الآثار في آكره ودهلي

وأما أهل دهلي فأجدرهم بثنائي وشكري النواب محمد أجمل خان حاذق الملك الطبيب الشهير كبير سروات دهلي وأحد أفراد المسلمين الممتازين في الهند بالعلم والفضل وعلو الجناب ، وقد أحسن حفظه الله ضيافتي وجمعني في داره بأكبر علماء البلد ووجهائه ، وخصص لي سيارة كهربائية تيسر لي بركوبها رؤية جميع الآثار القديمة في ضواحي تلك المدينة في مدة قصيرة . ولا أنسى أولئك العلماء الكرام الذين أنسنا بهم هناك وأخص بالذكر منهم (مولوي) الشيخ سيف الرحمن المدرس الاول والناظر لمدرسة (فتح پوري) الدينية وقد زرنا مدرسته وسمعنا وأسمعنا ما فتح الله به فيها . وتكلمنا معه في اصلاح التعليم والعناية باللغة العربية فصادفنا منه ارتياحا لرأينا في ذلك ، ومولوي الشيخ عبد الله الغازيپوري ، ومولوي أحمدالله المبارك پوري ، وميرزا ضمير الدين أحمد اللوهاري . ولا أنسى مودة التاجر الصادق الحاج التقي عبد الغفار بن الحاج علي جان ، الذي كان يترك محل تجارته الكبير ويصاحبني في كل مكان . وقد صحبنا معه في رؤية آثار دهلي النواب ضمير الدين . وبالقرب من الاثر العظيم الذي هو أكبر آثار دهلي (منارة قطب أوليا) بلدة اسمها (مهرولي) عرجنا فيها على دار

الشيخ رياض الدين من كبراء أهلها وكان أعد لنا غداء طيبا نوع فيه ألوان الأطعمة الهندية ، وكان من مظاهر الكرم الاسلامي في تلك الديار

ولم أنس لاأنسى زيارة مدرسة (مظاهر العلوم) في مدينة (سهارنبور) ولقاء ناظرها وأكبر مدرسيها (مولوي) الشيخ خليل أحمد الذي لم أرَ في علماء الهند الاعلام أشد منه انصافاً ولا أبعد عن التعصب للمشايخ والتقاليد، وما ذلك الا لاخلاصه وقوة دينه ونور بصيرته

وابدأ من شكر أهل (لاهور) الكرام بالثناء على الامير الجليل ، والسري النبيل ، النواب (فتح علي خان قزلباش) الذي أحسن ضيافتنا ، وأكرم وفادتنا ، ولا غرو فقصره في تلك المدينة القديمة معهد الكبراء والفضلاء ، وموئل السائحين والغرباء ، وأثني بالثناء على الصديقين الفاضلين ، والرصيفين الكريمين ، (مولوي محبوب عالم) صاحب جريدة (پيسه اخبار) و (مولوي محمد انشاء الله) صاحب جريدة (وطن) وكان هذان الفاضلان يتسابقان لضيافتي ، ويرى كل منهما انه أولى بي : الاول لانه تكرم بزيارتي في مصر عند منصرفه من أوربة ، والثاني لما بيني وبينه من صلة المكاتبة وعنايته بنشر تفسير المنار ، ولكن النواب الجليل قال انه هو الاحق بذلك فلم يسعهما الا الاذعان ، لانه هو البدء الذي لا يختلف في تقديمه اثنان . ثم أثني الثناء الاوفى على الكاتب البليغ والخطيب المصقع (مولوي ظفر علي خان) صاحب جريدة (زميندار) الذي بالغ في الترحيب بي قبل وصولي الى الهند واقترح أن تعقد لجنة لوضع برنامج لحفاوة مسلمي الهند بي ، وكان يريد ان يحتفل بي احتفالا عاما يجتمع له الالوف من جميع طبقات الشعب فاعتذرت له عن ذلك ، بأني مضطر الى السفر الى ندوة العلماء لقرب موعد احتفالها العام ، ومما أذكره مع الشكر والثناء مواتاته لي في الصلح بينه وبين صديقي صاحب جريدة وطن الذي أشكر له مثل هذه المواتاة ، وكانت جرت بينهما مناظرة حادة أدت الى الجفوة وآلمت فضلاء المسلمين في جميع البلاد الهندية حتى رغب الي كثير من كبرائهم في السعي الصلح بينهما عند زيارة لاهور . ومما أشكره لصديقي (محبوب عالم) شكراً خاصاً تركه لنجله الكريم مريضاً يعالج وطوافه بي على مساجد البلد ومدارسها ومعاهدها الاثرية فيها وفي ضواحيها

وأما أهل (لكهنؤ) فلا أستطيع ان أوفيهم حقهم من الشكر والثناء فقد استقبلني الالوف منهم بحفاوة قلما يستقبل بمثلها الملوك حتى خجلت واستحييت ، وكان رجوتهم أن يختصروا في التكريم غلوا فيه وأفرطوا ، حتى انهم جروا المركبة التي ركبتها

بأيديهم . وأخص بالشكر والثناء رجال ندوة العلماء الكرام؛ وفي مقدمهم رئيسهم صديق العلامة الهمام شمس العلماء الشيخ شبلي النعماني ، والسيد ممتاز حسين رئيس لجنة المستقبلين فيها وهو الذي خصص داره الفيحاء لنزولي فيها ، وتأنق في اتقان الضيافة ماشاء يجمع بين مقتضى أصله العربي الصميم ، وفرعه الهندي الكريم ، واحتشام السلطنة أمين أموال الندوة ، وسائر علماء الندوة وغيرهم كالعلامة الكبير السيد ناصر حسين كبير علماء الشيعة . ثم عظماء البلد الذين أدبوا لنا المآدب الحافلة : (مشير حسين القدواني) الذي كان كاتب السر لجمعية الجامعة الاسلامية في لندن وأخوه (شاهد حسين) و(السيد محمد علي حسن خان) ابن أمير العلماء وعلامة الأمراء المرحوم السيد صديق حسن خان نواب بهوپال صاحب التصانيف الشهيرة — والامير الكبير النواب (محمد علي راجا ولاية محمود آباد) وهو من أعظم أمراء الهند وسرواتهم من طائفة الشيعة الامامية ، وأركان النهضة الاسلامية ، فانه يبذل المال لمدرسة العلوم الكلية في عليكده بألوف الجنيهات ، كما يبذل للمدارس الخاصة بأهل السنة كمدرسة ندوة العلماء ، فنسأل الله ان يكثر في المسلمين من أمثاله ، وكانت خاتمة الدعوات الحافلة في لكهنؤ دعوة الطبيب الشهير الحكيم (محمد عبد الولي) حياه الله تعالى

وقد سرت من لكهنؤ الى (بنارس) مدينة البراهمة المقدسة ومقر أقدم أصنام في الارض فلم أعرف من مسلميها الا مضيفنا الكريم (محمد مخنون حسن خان) المعاون المسلم للحاكم الانكليزي فيها وهو افغاني الاصل فقد تفضل أحسن الله جزاءه مع حسن الضيافة بمساعدتنا على رؤية الآثار القديمة الوثنية الثابتة من ألوف السنين ، المكتشفة حديثا في ضواحيها ، صرفنا كل وقتنا هنالك في رؤية الآثار والمعابد، ولم يتيسر لأحد على أن أكثر مسلمي بنارس من الصناع والزراع وقلما يوجد فيها أحد من أهل العلوم والآداب فيما نعلم للشكر بقية

﴿ أبو سعيد العربي الهندي ﴾

كان هذا الرجل في (درنه) يتردد على أنور بك وحاشيته مثل الشيخ صالح التونسي وجاء مصر فاتصل بأخلاط الحزب الوطني فلحقه الفريقان بالطعن في صاحب المنار فكتب في بعض الجرائد الهندية ينكر عليها فيها الاطراء وتسميته مصلحا و يعني انه ادعى في بعضها انه يتكلم في شأني عن معرفته بي وهو لا يعرفني وانما رآني مرتين احداهما في خيمة الهلال الاحمر وثانيهما في الطريق دعوته فيها الى ادارة المنار للتعارف والمذاكرة فاعتذر .

فاذا كان قد كتب ما كتب بسوء الفهم وهو مخلص فسيظهر له عاقبة المنافقين الذين كذبوه وخدعوه (والله يعفو عنه) وان كان مثلهم فجزاؤه على الله تعالى والعاقبة للمتقين